الملك الرسولي قد أراد من الاستكثار بهم أن تكون له عصبية قوية يفارع بها العصبيات المحيطة به في اليمن من قبل تكتلات القبائل حوله وكأنه في هذا المسلك ينهج أسلوب حكام مصر المعاصرين له على أن حتف هذا الملك سيكون على أيدي هؤلاء المماليك كما مر بنا . وهؤلاء المماليك من أشرس خلق الله وقد أرادوا أن يسخروا الشعب لأهوائهم لولا أنهم وجدوا مجتمعا صلب المراس لايخضع للضيم وهم دائما لايزالون في حروب معهم حتى أخمد العرب شوكتهم ونادرا ما يخرج مملوك من أبواب زبيد دون أن تتعرض حياته للخطر[1] ... الا أنهم في المدن قد شكلوا طبقة ثانية بعد طبقة الحكام لها نفوذها الكبير في البلاد ولم يحد من شأنهم الا سقوط الدولة الرسولية في القرن التاسع وقيام دولة عربية تعتمد في حميتها على الشوكة العربية فتلاشى شأن المماليك وهرب أكثرهم الى الحجاز .

وفي المدن يتباين الناس وتتعدد طبقاتهم فأولهم بعد طبقة الملوك طبقة الامراء ولم يكن هؤلاء الامراء جميعهم من بيت الملك وانما يدخل فيهم جماعة من المماليك والرؤساء المقربين للسلطان ويحمل للامير في الغالب شعارات التعظيم والسيادة كدق الطبل والمرافقة له بالحرس وقد كرمت الدولة كثيراً منهم بواسطة الاقطاعات الهائلة التي تعطى لهم وربما بلغت هذه الاقطاعات قرى بأكملها[2] ويأتي بعدهم في المرتبة طبقة المشايخ أو رؤساء القبائل ونفوذهم يكون خارج المدن الكبيرة ويتحكمون في أفراد القبائل التابعة لهم ويغلب عليهم البساطة والسذاجة لذا فان الدولة كثيرا ما أوقعت بهم بواسطة الحيلة[3] ومن رؤسائهم

---

(١) والى ذلك يشير ابن المقري فيقول مخاطبا الظاهر :

بوصي بقتلهم القبائل بعضهم بعضا لكي يجدوا لديك منالا

(٢) انظر على سبيل المثال العقود اللؤلؤيه ج ١ ص ٢٦٨ و ٣٠١ و ٣١٨ وغيرها .

(٣) العقود اللؤلؤيه ج ٢ ص ١٠٩ .